

المحاضرة الخامسة التغير الاجتماعي، عوامله، مراحله، أشكاله و معوقاته

➤ عوامل التغير الاجتماعي

يوجد عوامل متعددة ومتفاعلة مع بعضها البعض تؤثر في التغير الاجتماعي من أهمها:

1- العامل البيئي: يركز القائلون بهذا العمل على تأثير البيئة الطبيعية في الظواهر الاجتماعية والسلوك الاجتماعي داخل المجتمع ويعتبرون أن العامل البيئي يعتبر عاملا حاسما في إحداث التغير الاجتماعي، ولقد قرر ابن خلدون في القرن الرابع عشر في مقدمته البيئة الجغرافية أثرها في اختلاف البشر جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وخلقيا، ويمكن إجمال العوامل البيئية التي تؤثر على التغير الاجتماعي بما يأتي:

أ- المناخ: الحرارة، الرطوبة، الرياح، الأمطار.

ب- الموقع الجغرافي: القرب أو البعد من البحر، الصحراء، خط الاستواء...الخ.

ج- وجود المصادر الطبيعية كالبترول والغابات والمعادن والمياه...الخ.

د- الكوارث البيولوجية كالأوبئة والأمراض، والطبيعية كالزلازل والبراكين.

2- العامل البيولوجي: ويشمل كل الاستعدادات التي تعين المرء على الحياة ويعمل تحت تأثير ظروف البيئة الاجتماعية والثقافية من عادات ومعتقدات وتقاليده ولغة وأساليب عمل...الخ، ويشدد العالم الفرنسي أثر جوبيتو (صاحب النظرية العنصرية في علم الاجتماع) على عدم تكافؤ الأجناس الإنسانية وهذا يفسر اختلاف خصائص الأجيال المتتالية فهل نحن مثلا مثل أجدادنا تماما من الناحية البيولوجية.

3- العامل الديموغرافي (السكاني): فهناك ارتباط بين عدد السكان ومستوى المعيشة الذي ينعكس على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أن هناك ارتباطا بين حجم السكان والعمالة والبطالة ومستويات الأجور وقيام الصناعات واستعمال الآلات وغيرها مما يؤثر على الأفراد وعلى التركيب الاجتماعي للمجتمعات البشرية.¹

وكذلك يعتقد القائلون بأهمية هذا العامل، أن التغير الاجتماعي يحدث نتيجة للحركة السكانية من زيادة أو نقصان، ولكثافة السكان وتوزيعهم داخل المجتمع، وبذلك فهم يربطون قضايا التقدم والتخلف بالحركة السكانية، ويعتبرون الخصائص السكانية عاملا حاسما في عملية التغير الاجتماعي، ويذهب دوركايم إلى أن الزيادة في عدد السكان تؤدي إلى الزيادة في تقسيم العمل الاجتماعي، وأن الانتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي الناتج عن تقسيم العمل الاجتماعي إنما يرجع أصلا إلى العامل الديموغرافي.

¹ - المرجع نفسه، ص 159-160.

- 4- العامل التكنولوجي:** إن التطور السريع للتكنولوجيا والمتمثل بالاختراعات والابتكارات والاكتشافات العلمية الجديدة وتقدم وسائل الإعلام والاتصال والنقل وغيرها، كلها لها أثر كبير على التغير الاجتماعي، حيث تنعكس آثارها على أساليب تفكير الناس وعلاقاتهم الاجتماعية وتنظيم المجتمع وتغير السلوك البشري.²
- 5- العامل الإيديولوجي (الفكري):** ويرى أنصار هذا العامل أن وجود أو ظهور مذاهب فكرية متعددة في المجتمع يؤثر في أساليب حياة أفرادها، وفي عملية التغير الاجتماعي فيه، فالإيديولوجية الدينية أو الرأسمالية، أو الاشتراكية مثلا تؤثر في توجيه نشاط الأفراد والجماعات أو تشكل أنماطا معينة من التفاعل والعلاقات، وفي كل مجتمع إنساني تحاول السلطة فرض إيديولوجيتها على المجتمع من خلال وسائل الإعلام المختلفة من أجل إحداث التغييرات في البيئة الاجتماعية في العلاقات الاجتماعية.
- 6- العامل الاقتصادي:** ويقصد به جميع النواحي المادية التي تحيط بالمجتمع، والبناء الاقتصادي مسؤول عن التطورات والأحداث التاريخية وعن توجيه عمليات التغير الاجتماعي في المجتمع كما أنه مسؤول عن التنظيم السياسي والقانوني والديني والفلسفية والأخلاق في المجتمع.
- 7- العامل الثقافي:** يرى أنصار هذا العامل أن الثقافة أساس أي تغير، أو تطور اجتماعي، فعندما يتحدث تغير ثقافي داخل المجتمع سواء أكان ذلك التغير ماديا أو لاماديا تحدث تغيرات اجتماعية، فتتغير بعض العادات والتقاليد والأعراف أو تتعدل أو تختفي كلها، ومن الجدير بالذكر أن التغيرات التي تحدث في الثقافة المادية كثيرا ما تسبق التغيرات التي تحدث في الثقافة اللامادية وعندئذ يحصل ما يسميه وليوم أوجبرن "التخلف الثقافي". كذلك ليس بالضرورة أن يكون التغير الثقافي ناتجا لعوامل داخلية وإنما يمكن أن يحدث نتيجة لاستعارة ثقافة من مجتمع آخر نتيجة الهجرات والزيارات والسياحة والاتصالات بالشعوب الأخرى بمختلف الوسائل مما يؤدي إلى حدوث تغير اجتماعي.³
- 8- العامل الديني:** إن من بين الذين شددوا على أهمية الدين في التغير الاجتماعي المؤرخ الفرنسي فوستيل دي كولانج في كتابه "المدينة العتيقة"، وقد جاءت تأكيدات بنيامين كيد الفيلسوف الإنجليزي داعمة ومطورة لرأي كولانج، حيث ذهب إلى أن الدين هو القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم، فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال، ويحقق التكامل بين المجتمعات، وينقذ الحضارة من الأخطار الكبرى، ويرى كيد أن الدين وحده هو الذي يسمح بوجود تقدم اجتماعي، وتغير مستمرين.

² - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 160.

³ - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 160-161.

9- الثورات: تعني الثورة التغير الشامل والكامل الذي يحدث عندما تصبح القوى القديمة على اختلاف أنماطها وأشكالها غير قادرة على مواجهة متطلبات المجتمع القائم، فالثورة إذن تعني إحداث تبديلات وتغيرات عميقة وجذرية في حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية والأيدولوجية، وتتسأ الثورات نتيجة لنمو الوعي القومي لدى أفراد المجتمع، حيث تعتبر القومية من العوامل الدافعة للتغير الاجتماعي، فهي تشكل اتجاهات الأفراد والجماعات، وتنمي لديهم الشعور بالأمن والولاء وتوقظ في الجماعة الشعور بالتغير الاجتماعي السريع الشامل.

10- الحروب: للحروب تأثير كبير في إحداث التغير الاجتماعي، من خلال نتائجها الإيجابية أو السلبية فالمنتصر يعمل لتدعيم انتصاره، والمهزوم يعمل حتى يزيل آثار الهزيمة ويحقق النصر، كما أن الحرب تحدث خلافا في عدد الذكور والإناث، وهذا كله يؤثر على طبيعة العلاقات الاجتماعية والأخلاقيات والقيم السائدة في المجتمع.

➤ مراحل التغير الاجتماعي:

إن التغير الاجتماعي يتم تدريجيا عبر مراحل مختلفة وهو يختلف عن الثورة التي لا يوجد لها مقدمات بل تتغير فجأة، والمراحل التي يتم فيها التغير الاجتماعي هي:

1- مرحلة التحدي: وهي نقطة البداية في عملية التطور، وتتم من قبل المجتمع التقليدي، وكلما زاد تمسك المجتمع بالمحور القيمي كلما زاد التحدي، ففي المجتمعات الزراعية يكون التحدي أكثر من المجتمعات الصناعية.

2- مرحلة الانتقال: وتتم العملية بالتدريج، إذ تنتقل الحالة من أيدي التقليديين إلى أيدي التقدميين، وفي بعض الأحيان يكون بعض التقليديين مشاركين للتقدميين في بعض الأفكار ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة مرحلة تقويم الأفكار الجديدة، وهنا يكون الصراع دائرا بين القديم والحديث، وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل على الأفكار الجديدة، إذ أنها قد تنحرف إلى أفكار هدامة.

3- مرحلة التحويل: وهي المرحلة التي يتم فيها إعادة التنظيم الجذري للبناء المتغير من جميع جوانبه.

4- مرحلة تطبيق الأفكار الجديدة (المرحلة المتطورة): وهي المرحلة أو الحالة الجديدة التي آل إليها التغير، وهي إقامة التنظيم على أسس جديدة نابعة من عملية التغير.⁴

⁴ - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 162.

➤ أشكال التغير الاجتماعي:

إنَّ عملية التغير عملية ضرورية ولازمة لأي مجتمع لزوم الحياة، ولا يمكن أن يكون هناك مجتمع ثابت، إذ أن الثبات هو الموت والانقراض، فالمجتمع الثابت هو المجتمع الجامد، ولكن المجتمعات تتفاوت في أشكالها تغيرها، ومن هنا نستطيع أن نقسم التغير أو التطور إلى أشكال مختلفة هي:

1- التغير البطيء: ويحدث هذا التغير بشكل بطيء جدا كما هو في المجتمعات البدائية أو المجتمعات المتأخرة حضاريا، وتكاد تكون في حالة شبه جمود، مثل تلك المجتمعات التي تعيش في القرن العشرين ولكنها تتبع القرن الثاني عشر والثالث عشر، فالتغير في هذه الحالة هو تغير بطيء جدا حيث أنه لا يوجد مجتمع استاتيكي ثابت ثباتا مطلقا.

2- التغير المتدرج: وهو تغير مرحلي يتكون من تراكمات جزئية لا نستطيع إدراكها في مدى زمني قصير، إلا أنها مستمرة وتحدث بانتظام وتسارع، وهي في الغالب تغيرات كمية لا تؤثر في الكيفية التي يعيشها المجتمع، تلك التغيرات الكمية تكون بالتدريج ولكنها مع تلك تؤثر في المدى البعيد في الكيفية، أي في طريقة العيش والحياة ولكنه لا يلاحظ بوضوح.

3- التغير السريع: هو التغير الذي يسير بسرعة كبيرة، ومن السهل على المراقب أو الملاحظ أن يلمس هذا التغير بدون عناء أو جهد، وهذا التغير يختزل بعض مراحل التغير، ومثل هذا التغير ما يحدث في المجتمعات الأمريكية والأوروبية والاتحاد السوفيتي.⁵

وهناك ملاحظة هامة في التغير وهي أن التغير التدريجي أو التطور يعني رفض قطعي لكل قديم، ولكن قد يتضمن الاستفادة من القديم في المرحلة المتغيرة أو المتطورة، أما الطفرة أو الثورة فهي تغير يزلزل أركان المجتمع ويغير كل نظامه ويقيم على أنقاضه مجتمعا جديدا.

ومن خصائص التغير الاجتماعي أنه تغير مستمر في المجتمعات وأغلبية مظاهر التغير تحدث بتسلسل وتتابع وقد تكون نتيجة لازمة، وقد مرت المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ بمراحل تغير مختلفة يمكن أن نطلق عليها مراحل التغير الحضارية، فمثلا أن أول شكل من أشكال المجتمع المعروفة هو المجتمع الذي كان يعتمد على المشاعية البدائية، وبعملية التغير الاجتماعي أصبح ما يعرف بمجتمع القبيلة وظهر بما يسمى بالإنتاج المشترك، وتحددت الملكيات الخاصة بعد ذلك، وظهرت مرحلة جديدة هي ما

⁵ - المرجع نفسه، ص 162-163.

يسمى بالنظام الإقطاعي أو الملكية الخاصة، حيث أصبح لكل فرد مجموعة من الإقطاعات، ونشبت حروب كثيرة بين تلك المجموعات، فظهرت التناقضات في المجتمع، وقامت ثورات تسعى إلى التغير وفي كل مرحلة من المراحل، وفي كل نظام كان يصاحبها نظام تربوي معين وفلسفة تربوية خاصة.⁶

➤ مظاهر التغير الاجتماعي:

أ- مظاهر التغير الاجتماعي الإيجابية: وتشمل:

- 1- تقدم العلم و تطبيقه في مجالات واسعة أدى إلى رفاهية الفرد والمجتمع.
- 2- ازدياد وتحسن وسائل الاتصال وزيادة اعتماد الأفراد والجماعات على بعضهم البعض.
- 3- ظهور مفاهيم جديدة للأفكار القديمة مع تطبيق هذه المفاهيم مثل الحرب النفسية، والديمقراطية.
- 4- تغير نظام الأسرة من العائلة الكبيرة إلى العائلة الصغيرة والسماح بعمل المرأة وتمتعها بحقوق لم تكن تتمتع بها من قبل.
- 5- الهجرة من الريف والقرى للمدن.
- 6- ظهور قوة للطبقة العاملة.
- 7- جذب العمال والعمالات من المنازل إلى المراكز الصناعية.
- 8- تغير في نظام الرعاية الاجتماعية من الأسرة إلى مؤسسات اجتماعية.
- 9- النمو الحضاري والتغير العمراني المصاحب للتغير السكاني.⁷

ب- مظاهر التغير الاجتماعية السلبية:

- 1- التركيز على الناحية المادية وإهمال الناحية الروحية.
- 2- الميل إلى الأنانية الفردية.
- 3- انتشار اللامبالاة.
- 4- العبث والتمرد اللاواعي.
- 5- إضعاف سلطة الرجل في المنزل.
- 6- يؤدي التغير إلى حدوث مشكلات اجتماعية تتجم غالبا عن التخلي عما هو قديم من علاقات واتجاهات وتقاليد وأساليب سلوك وغيرها، والتكيف مع ما هو جديد مما لم يعتد عليه المجتمع.
- 7- أدى التقدم التكنولوجي إلى زيادة الضغوط النفسية على الفرد، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية على صحته النفسية وتوافقه مع الآخرين.

⁶ - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 163.

⁷ - المرجع نفسه، ص 164.

8- أدى التغير الاجتماعي إلى حدوث تغير في بناء الأسرة، أو تأخير سن الزواج أو تنظيم الأسرة، أو تفككها.⁸

➤ عوائق التغير الاجتماعي:

لاشك أن عملية التغير الاجتماعي لا تسير بسهولة، فهناك عوائق تؤدي إلى تغيير اتجاهها، أو إلى إبطاء سرعتها، وتختلف عوائق التغير من مجتمع إلى آخر سواء من حيث الكم أو الكيف، ويمكن إجمال هذه العوامل فيما يلي:

أ- العوائق الاجتماعية: ومنها:

- 1- العزلة التي يعيش فيها المجتمع والتي قد يفرضها المجتمع على نفسه أو يفرضها الاستعمار عليه.
- 2- الميل إلى المحافظة على الوضع الاجتماعي القائم وخصوصا عندما تتعرض المكانات الاجتماعية للأفراد للضرر، وكذلك نتيجة الخوف من التغير نتيجة المجهول الذي يخافونه.
- 3- عدم تكامل المجتمع وتجانس تركيبه العرقي أو الطبقي مما يؤدي إلى انقسام المجتمع بصدد التغير، فمن الجماعات ما يؤيد التغير ومنها ما يعارضه.
- 4- الداعون للتغيير وخصوصا إذا كانوا يتبنون وجهة نظر مصلحة طبقية أو حماية مزايا اجتماعية معينة.
- 5- انعدام الروح الابتكارية والتجديد لدى أفراد المجتمع وسيادة روح اللامبالاة.⁹

ب- العوائق الاقتصادية: ومنها:

- 1- قلة الموارد الاقتصادية إذ تكون المجتمعات الفقيرة أقل المجتمعات قابلية للتغيير، وخاصة إذا تطلب التغيير كلفة مالية مرتفعة.
- 2- ركود حركة الاختراع والتجديد بسبب عدم توافر المواد اللازمة للاختراع بسبب كلفتها المالية وانخفاض المستوى العلمي والثقافي الذي يؤدي إلى الابتكار والاختراع، كذلك يمكن أن ينجم الركود عن عدم تشجيع الباحثين سواء من الناحية المادية والمعنوية، أو عن عدم احترام الحقوق التعاقدية للمخترعين، وعدم تقييم براءات الاختراع مما يضعف الوداع إلى الاختراع.¹⁰

ج- العوائق البيئية:

⁸ - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 164.

⁹ - المرجع نفسه، ص 165.

¹⁰ - جودة بني جابر، مرجع سبق ذكره، ص 165-166.

وتظهر هذه العوائق حين يكون المجتمع محاطا بتضاريس طبيعية صعبة، أو بمناطق قاحلة، مما يعيق اتصاله مع الخارج، بل إن هذه الأمور يمكن أن تساعد في فرض العزلة على المجتمع مما يقلل من قدرته على الاستفادة من ثقافة المجتمعات الأخرى الأمر الذين يفقده القدرة على التغيير.¹¹

➤ عوامل نجاح التغيير الاجتماعي:

تتلخص أهم هذه العوامل في:

- 1- دراسة القيم والاتجاهات والمعايير السائدة ودراسة العوامل المؤثرة فيها ووضع الخطط اللازمة لتغييرها في ضوء ما هو مرغوب.
- 2- مراعاة التكامل بين عنصري الثقافة المادية وغير المادية حتى لا يحدث وهن ثم انهيار يهدد استقرار المجتمع.
- 3- مراعاة الانسجام والتكامل في التنظيم الاجتماعي والتغلب على مصادر الشقاق والعصبية والتعصب في المجتمع خاصة إذا كان يتألف من عدة قوميات أو طوائف متميزة.
- 4- التحكم في سرعة التغيير وتوجيهه وإعداد الناس جيذا له من أجل استيعابه ومسايرته والمشاركة فيه وضبطه.
- 5- تحقيق التوافق الاجتماعي الذي يتطلب التغيير بحيث يكتف الأفراد والجماعات سلوكهم في ضوء هذا التغيير.
- 6- اختيار الوسائل المناسبة والوقت المناسب وإعداد العدة اللازمة لتحقيق التغيير.¹²

¹¹ - المرجع نفسه، ص 166.

¹² - المرجع نفسه، ص 154-166.